# الحوار في القرآن مشروعيته ومنهجيته

**د. عبد الكريم شرف محمد عبده**

**الأستاذ المساعد في التفسير وعلوم القرآن**

**ورئيس قسم علوم القرآن والدراسات الاسلامية**

**كلية التربية والعلوم والآداب . التربه**

**مقدمة :**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

**وبعد :**

هذا البحث يطرق باب الحوار كمشروعية ومنهجية ، من خلال آيات القرآن، وقد اخترته لما للحوارمن أهمية بالغة في بيان الحجة والبرهان ، وحل المشكلات التي تقف في طريق الدعوات ، أوتلك التي تعترض حياة الشعوب ، وتهدد أمنها واستقرارها ، أو الأخرى التي تنحرف بالأفهام فتجني على الأمم ... و هو يهدف إلى تعريف القارئ بمفهوم الحوار وعلاقتة بالجدل والمناظرة والمحاجة ، وذلك في اللغة والقرآن ، كما يهدف إلى تقديم رؤية لمشروعية الحوار ومنهجيته في القرآن الكريم ، وهو يقع في ثلاثة مباحث .

المبحث الأول: في مفهوم الحوار. وعلاقته بالجدل – والمحاجة – والمناظرة .

المبحث الثاني : مشروعية الحوار في القرآن الكريم.

المبحث الثالث : منهجية الحوارفي القران .

وخاتمة تتضمن أهم النتائج .

**المبحث الأول: في مفهوم الحوار. وعلاقته بالجدل ، والمحاجة ، والمناظرة .**

**. أولا:في اللغة:**

يأتي الحوار في اللغة بمعنى الرجوع عن الشيء وإلى الشيء .. ومنه حارت الغصة كأنها رجعت عن موضعها ، وفي الحديث (أعوذبك من الحور بعد الكور)[١].. وأحار علية جوابه :أي رده. والمحاورة :المجاوبة. والتحاور: التجاوب.. وهم يتحاورون:أي يتراجعون في الكلام. والمحاورة؛ مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة [٢]. ومنه قوله تعالى :**(إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ)**[الإنشقاق:١٤]أي لن يرجع .

وأما الجدل:فهو شدة الفتل..والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها. وجدل، مجدل . مجدال : أي شديد الجدل. وجدلته : غلبته ، والجدل:مقابلة الحجة بالحجة. والمجادلة: المناظرة والمخاصمة [٣] .

والحجة: البرهان ..ما دوفع به الخصم .. والتحاج : التخاصم ومحجاج جدل. وحاجه محاجة وحجاجا : نازعه الحجة . وحجه : غلبه على حجته...وفي حديث الدجال :**(إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه)**[٤] أ ي مغالبه بإظهار الحجة عليه[٥]

والمناظرة :أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه كيف تأتيانه.. وتناظرت الداران :تقابلتا . والتناظر: التراوض في الأمر..ونظيرك الذي تراوضه. ويناظره وناظره من المناظرة [٦].

والذي يظهر أن هذه الألفاظ قد تشترك في الدلالة على حديث متبادل بين نظيرين ماثل أحدهما الآخر في الفهم وإمكاناته ، وإن اختلفت مشاربهم أو مقاصدهم .

**. ثانياً:في الاصطلاح:**

يعرف الحوار : بأنه مراجعة كلامية ذو صيغة جامعة ، لأساليب التقارب والتجاوب والتفاعل[٧]. أو هو "فن الحديث المبدع ، والنقاش المقنع ، توصلاً إلى الأهداف المنشودة ، وتحقيقاً للآمال المعقودة [٨] .

أما مادة « الجدل » فقد وردت في تسعة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم يغلب عليها جميعا أن تكون إما في سياق عدم الرضى عن الجدال ،أو عدم جدواه[٩]

وقد جاء استعمال القرآن للجدل في الغالب بمعناه المذموم ، ومنه قوله تعالى:﴿ **وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ** ﴾ (غافر:٥ ).

﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (النساء:١٠٧)

﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (النساء:١٠٩ )

﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(الحج :٦٨) ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾ (الأعراف :٧١) ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ ﴾ (الأنعام :٢٥)

﴿ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ ..﴾ (الأنفال:٦) ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ [الأنعام/١٢١]..﴾ (الأنعام:١٢١) ﴿ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ (الرعد:١٣ )﴿ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾(الشورى:٣٥) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴾ (الحج :٣ ) ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ ( الحج: ٨ _ لقمان٢٠) ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (البقرة: ١٩٧) ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (الكهف :٥٤) ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ (هود:٣٢) ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ﴾ (النحل :١١١) .

والملاحظ أن الجدال جاء غالباً في معرض الذم ، وقد جاء في معرض المدح بمفهومه المحمود وهو" معرفة قواعد وحدود وآداب الاستدلال التي يتوصل إليها إلى حفظ رأي أوهدمه[١٠]وقيل في **تعريفه** :"هو علم باحث عن الطرق التي يقتدر بها على إبرام رأي أو نقضه." [١١].و ستأتي أمثلته قريبا.

أما مادة **الحوار** أو المحاورة فلم ترد . حسب علمي . في القران الكريم إلا في ثلاثة مواضع من ثلاث آيات ، اثنتان منها في سورة الكهف، في قوله تعالى :﴿ **فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا** ﴾ (الكهف:٣٤) وقوله سبحانه :﴿ **قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا** ﴾ (الكهف:٣٧) والثالثة في سورة المجادلة وهي قوله تعالى :﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا** ﴾ [المجادلة:١]وبالنظر في الآيات السالفة الذكر نجد أن القران الكريم سمى الحديث بين الطرفين « حوار» .

أما الأدوات اللفظية لهذا الحوار فتتصدرها كلمة «قال» والتي وردت(٥٢٧) مرة في حوارا ت متعددة في القران، ليتبين من ذلك أن الحوار أوسع مدلولاً وأشمل معنى من كلمة الجدال ، والمناظرة والمحاجة ،

وإذا كان الحوار يتفق مع الجدال بالتي هي أحسن فإنه لا يتفق معه في غلبة جو الخصومة والعنف عليه .

ومن هنا فان الجدال مع الحوار بينهما وجوه اتفاق وافتراق ، فمن أوجه الاتفاق أن الجدال إذا خلا من الخصومة لم يفرق بينهما ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا** ﴾ [المجادلة:١] (١٢)

**أما وجوه الافتراق بين المحاورة والجدال: فتتمثل في :-**

- غلبة الخصومة في الجدال عند طرفيه أو أحدهما ، بينما الحوار مراجعة كلامية خالية من معاني الخصام . ويقصد بها الإفهام والإقناع والإيضاح والاستيضاح للوصول إلى الحقيقة .
- أن الجدال مذموم غالبا ، وقد لا تتحقق من ورائه ثمرة ، ولا يتوصل معه إلى حقيقة وإنما يسلم من الذم إذا كان بالتي هي أحسن .
- أن الحوار في القران الكريم ، يأخذ مساحة أوسع من مساحة الجدال ، إذ يتسع الحوار لما يراد من الجدال بالتي هي أحسن بينما لا يتسع الجدال لما يراد من الحوار. ولذلك نرى أن الجدال المحمود ورد في القران في أربعة مواضع في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (العنكبوت:٤٦) وقوله سبحانه:﴿ **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (النحل:١٢٥) وقوله عزوجل:﴿ **فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ** ﴾ (هود:٧٤) وقوله جل جلاله: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا** ﴾ **[المجادلة:١]** فهذه الأربعة المواضع ورد فيها لفظ الجدال على وجه المدح ، " لتميزه عن الجدال المذموم من ناحية، ولبيان أنه لا ترذيل فيه ولا تقبيح حتى يطمئن إلى الداعي، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدال ولكن الإقناع والوصول إلى الحق .

**الحوار والمحاجة والمناظرة.**

بقصد بالمحاجة : المناظرة بالحجج والبراهين مع الإنصاف ، واتباع الحق ، والرفق والمداراة ، على وجه يظهر معه إثبات الحق ، وإزهاق الباطل [١٣] فقد وردت كلمةٍ التحاجٍ والمحاجة . في القرآن ثلاثة عشر مرة.

﴿ **ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ..**﴾(البقرة:٢٥٨)وهذه "المناظرة كانت بين إبراهيم ونمرود"[١٤].

﴿ **هأنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم** ﴾(آل عمران:٦٦) ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم**﴾ (آل عمران :٦١) ﴿ **وحاجه قومه** ﴾ (الأنعام :٨٠) "أي جادله قومه...وناظروه " [١٥].﴿ **فان حآجوك فقل أسلمت وجهي لله** ﴾ (آل عمران :٢٠) ﴿**لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده** ﴾ (آل عمران :٦٥) ﴿ **فلم تحاجون في ما ليس لكم به علم** ﴾ ﴿ **قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم** ...﴾ (البقرة : ١٣٩ ) "أي تناظروننا" [١٦] .

﴿ **وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان** ﴾ الأنعام : ٨٠.﴿ **أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم...**﴾ آل عمران :٧٣.﴿ **والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له** ....﴾ (الشورى :١٦) "أي يجادلون المؤمنين"[١٧] ﴿ **وإذ يتحاجون في النار** ﴾ (غافر : ٤٧) ومن هنا يتبين أن المحاجة ، تشترك مع الحوار في تبادل الحجج والبراهين بقصد الوصول إلى الحق، وان كان الحوار أوسع مدلولاً.

وأما علاقة معنى الحوار مع المناظرة فذلك يفهم من خلال تعريف المناظرة حيث **تعرف:** "بأنها لون من الجدال بالتي هي احسن بين فريقين ، وصولاً إلى الحق أو إلى الصواب ، يحاول فيها كل فريق إثبات وجهة نظره ، مع تخل مسبق عن التحيز ، ورغبة صادقة في الوصول[١٨] وعليه فان الحوار يشترك مع ألفاظ _ الجدال المحمود، والمحاجة والمناظرة، لكنه ليس واحدا منها بل يشملها جميعا مع غلبة طابع الحب والرحمة ، واللين ومجانبة القسوة. ونشدان الحقيقة ، أو تحقيق الهدف المنشود.فهو أسلوب في التخاطب ، والتفاعل، والتجاوب،والتقارب.

والحوار يأخذ سمته من هدفه فقد يكون الحوار سياسيا، أو تعليميا، أو دعويا، أو تربويا ، فهو في الإطار السياسي : الاعتماد على منطق الحكمة والعقل في حل الخلافات السياسية، ومجانبة القسوة والعنف ، وإحلال اللين والرفق محلهما . ولذلك كثيرا ما نسمع في هذا المجال دعوة أطراف النزاع إلى الحوار "الجلوس على مائدة الحوار" "الحوار الطريق الوحيد لحل الخلاف".

والحوار يأخذ مفهومه من دلالة اللفظ بأنه الرجوع والمراجعة ، والتجاوب المصحوب، برحابة الصدر وسماحة النفس ، ورجاحة العقل ، وبما يتطلبه من ثقة ويقين وثبات، وبما يرمز إليه من القدرة على التكيف والتجاوب ، والتفاعل، والتعامل المتحضر الراقي مع الأفكار والآراء جميعا.

ومن هذا المنطلق نود معرفة مشروعية الحوار في القرآن الكريم وهو ما نقف عنده في المبحث القادم.

**المبحث الثاني : مشروعية الحوار في القرآن الكريم**

أسلفنا القول أن الحوار يتفق مع الجدال بالتي هي أحسن ، وقد جا الأمر بقول التي هي أحسن اتقاء لنزغات الشيطان بين بني الانسان كما في قوله تعالى : **(وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا )**[الإسراء/٥٣]

والمقصود بالتي هي أحسن هنا " المحاورة والمخاطبة" [١٩] ويرى الحسن في معنى

التي هي أحسن : أن لا يقول له مثل قوله بل يقول له: يرحمك الله يغفر الله لك.[٢٠] **وهذا خاص بالمسلمين** .، ويمكن أن يدعو لغير المسلم بالهداية . .

والمعنى العام للآية يشبر" أن الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة "[٢١] والأمر يقتضي الوجوب .

و يرى ابن عطية : أن ذلك أمراً بالمحاورة في هذا المعنى بما أمكن من الألفاظ ، كأنه قال : بين لعبادي ، فتكون ثمرة ذلك القول والبيان قولهم التي هي أحسن [٢٢] فالتي هي أحسن عند ابن عطية ثمرة لبيان النبي ﷺ للأمر الإلهي.

ويرى بعض المفسرين أن الأمر بقول التي هي أحسن لأهل الكتاب يتضمن نهيا ( ألا يخاشنوهم)[٢٣] وفي الآية تعليل لهذا الأمر وما يتضمن من النهي عن ضده بأن " الشيطان يفسد ، ويهيج الشر بين المؤمنين والمشركين بالمخاشنة فلعل ذلك يؤدي إلى تأكد العناد وتمادي الفساد [٢٤].

وجاء الأمر للنبي ﷺ والمؤمنين من ورائه بالمناظرة أو الجدال بالتي هي أحسن في قوله تعالى : ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..**﴾ [النحل:١٢٥] أي خاصمهم بالخصومة التي هي أحسن[٢٥] أوناظر معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة

والمجادلة ، من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال المقدمات المشهورة ، تسكينا لشغبهم وإطفاء للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام[٢٦]

" والآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش وأمره ﷺ أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف .. فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين ؛ وقد قيل إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي في حقه محكمة [٢٧]

قال القاضي أبو محمد بن عطية الأندلسي : (ويظهر لي أن الاقتصار على هذه الحال وأن لا تتعدى مع الكفرة متى احتيج إلى المخاشنة هو منسوخ لا محالة ، وأما من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي محكمة إلى يوم القيامة ، وأيضا فهي محكمة في جهة العصاة فهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة )[٢٨] والحكمة في هذه الآية هي :( الوحي الذي أوحاه الله لنبيه ،وكتابه الذي أنزله عليه) [٢٩] أو (هي المقالة المحكمة الصحيحة ، وقيل هي الحجج القطعية المفيدة لليقين )[٣٠]

وعليه فإن القران بما فيه من أساليب الحكمة في الحوار، وإحكام ألفاظه ، ومعانيه ، وما فيه من الحجج القطعية ، المفيدة لليقين ، يعد الزاد الأول للمحاور ، والوسيلة الأولى للتأثير والنهج المتبع في الدعوة بالحكمة ، للموافق أو المخالف .

أما **(الموعظة الحسنه)** فهي المقالة التي يستحسنها السامع وقيل هي الحجج الظنية الاقناعيه الموجبة للتصديق بمقدمات مقبولة[٣١]"أوهي العبارات الجميلة" [٣٢] وقد يكون كل ذلك مقصود .. فالدعوة تكون بالحكمة التي تفتح العقول ، وبالموعظة التي تهز القلوب [٣٣].

وأما قوله تعالى : **(وجادلهم بالتي هي أحسن)** فهذا أمر منه سبحانه بجد الهم بالتي هي أحسن، وجاء النهي عن جدال أهل الكتاب بغير التي هي أحسن باستثناء الذين ظلموا منهم في قوله سبحانه :﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾ (العنكبوت :٤٦) ففي الأمر : ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ الجدال للمخالفين ، والمعاندين . أي ناظر معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة ، والمجادلة من الرفق واللين ، واختيار الوجه الأيسر، واستعمال المقدمات المشهورة ، تسكينا لشغبهم ، وإطفاء للهبهم [٣٤] أو"بالخصلة التي هي أحسن كمعاملة الخشونة باللين،

والغضب بالحلم ، والمشاغبة بالنصح على وجه لا يؤدي إلى الضعف"[٣٥] وقال الطبري "خاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك "[٣٦] .

وهكذا ،" لما كان الداعي قد يحتاج مع الخصم الألد إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل ، أمر تعالى بالجدال بالتي هي أحسن أي أحسن طرق المجادلة ، وإنما أمر بالمجادلة الحسنه ، لكون الداعي محقا ، وغرضه صحيحا ، وكون خصمه مبطلا وغرضه فاسدا" [٣٧] .

**والجدل بالتي هي أحسن يكون** " بلا تحامل على المخالف وبلا ترذيل له وتقبيح . حتى يطمئن إلى الداعي ، ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل ، ولكن الاقتناع والوصول إلى الحق ، فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها ، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق ، حتى لا تشعر بالهزيمة ، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي ، وقيمتها هي عند الناس ، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها . والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحساسة ، ويشعر المجادل أن ذاته مصونة ، وقيمته كريمة ، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها ، والاهتداء إليها في سبيل الله، لا في سبيل ذاته ونصرة رأيه وهزيمة الرأي الآخر." [٣٨].

وإنما جاء الأمر بجدالهم بالتي هي أحسن والنهي عن جدالهم بغيرها ، لكونهم آمنوا بإنزال الكتب، وإرسال الرسل .. فلمقابلة إحسانهم يجادلون بالأحسن [٣٩].

وهكذا نجد أن القران الكريم اكتفى في الموعظة من حيث الأمر بها أن تكون حسنه ، ولكنه لم يكتف في الجدال إلا بالتي هي أحسن ، لأن الموعظة مع الموافقين ، والجدال مع المخالفين ، فإذا جادلت المخالفين فجادلهم بأرق الألفاظ ، وألطف الأساليب ، التي لا توغر الصدور والتي تبني ولا تهدم ، وتجمع ولا تفرق،.. بمعنى لو كانت هناك طريقتان : حسنه جيده وطريقة أحسن منها وأجود، فالمسلم مأمور في أن يجادل بالطريقة الأحسن والأجود [٤٠]

وعليه فالمسلم مأمور أن يبتكر وأن يبدع في وسائل الحوار مع المخالفين ، امتثالا لأمره تعالى وابتغاء رضوانه.

وقد جاء في القرآن من أساليب الحوار ما يجدر الإشارة إليه للاستفادة من هذه الأساليب التي نذكرمنها أسلوبين :-

**الأول** : في قوله تعالى : ﴿ **وإنا أوإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين** ﴾ (سباء : ٢٤) ، أمر الله عزوجل رسوله ﷺأن يقول للذين يحاورهم أو يخاطبهم من المشركين ﴿وإنا أو إياكم..﴾ واحد منا على هدى – على حق – بدون تحديد – هل الرسول ﷺ شاك في نفسه؟ إنما هذا من باب إرخاء العنان للخصم. (٤١) أي واحد من الفريقين مبطل والآخر محق لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أوعلى الضلال ؛ بل واحد منا مصيب.ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد) (٤٢)

وهذه غاية النصفة والاعتدال ، والأدب في الجدال .. أن يقول رسول ﷺ للمشركين : إن أحدنا لابد أن يكون على هدى ، والآخر لابد أن يكون على ضلال . ثم يدع تحديد المهتدي منهما والضال، ليسير التدبر والتفكر في هدوء ، لا تغشى عليه العزة بالإثم .والرغبة في الجدال والمِحال! فإنما هو هاد ومعلم ، يبتغى هداهم وإرشادهم ، لا لإذلالهم ، وإفحامهم، لمجرد الإذلال والإفحام ! والجدال على هذا النحو المهذب الموحي أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين ، بالجاه والمقام ، المستكبرين على الإذعان والاستسلام ، وأجدر بأن يثير التدبر الهادئ والاقتناع العميق ، وهو نموذج من أدب الجدال ينبغي تدبره من الدعاة.. (٤٣) .

**والثاني** : بنفس السورة يأمر الله عزوجل نبيه ﷺ أن يقول : ﴿ **قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون** ﴾ (سبأ: ٢٥)... كذلك يأتي هذا الإيقاع " في أدب وقصد وإنصاف ، ولعل هذا كان ردا على اتهام المشركين بأن الرسول ﷺ ومن معه هم المخطئون الجارمون ! وقد كانوا يسمونهم : (الصابئين) أي المرتدين عن دين الآباء والأجداد . وذلك كما يقع من أهل الباطل أن يتهموا أهل الحق بالضلال في تبجح وفي غير ما استحياء .. فلكل عمله ، ولكل تبعته،ولكل جزاؤه . وعلى كل أن يتدبر موقفه ، ويرى إن كان يقوده إلى فلاح أو إلى بوار (٤٤) فانظر إلى قمة الأدب في الحوار .. وكان مقتضى الكلام أن يقول لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تجرمون. فلم يشأ أن ينسب إليهم الإجرام(٤٥) فقال ولا نسأل عما تعملون. " وبهذه اللمسة يوقظهم إلى التأمل والتدبر والتفكر ، وهذه هي الخطوة الأولى في رؤية وجه الحق ثم في الاقتناع "(٤٦) .هذا الحوار مع المشركين ، فكيف بالحوار مع المسلمين ، لاسيما فيما يعود بالنفع على الأمة ودفع الأضرارعنها ؟ .

أما أهل الكتاب ، فتربطنا بهم قواسم مشتركة يؤكد عليها القران ، كما يؤكد على وجوب التأكيد عليها أثناء حوارنا معهم بالتي هي أحسن . ذلك هو ما يفهم من قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا**

**وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ (العنكبوت : ٤٦) فهذا أمر بحوار المخالفين في الدين من أهل الأديان الكتابية الأخرى على أن يكون الحوار بأحسن الأساليب وأمثلها ، وأن يركز على مواضع الاتفاق لا على نقاط الاختلاف [٤٧].

فالمحاور من المسلمين عند محاورتة أهل الكتاب عليه أن يبدأ معهم بالأمور المشتركة كقوله " فنحن كلنا نؤمن بإله واحد ، فتعالوا نلتقي على كلمة سواء .. ولا مانع أن نحاورهم لنقف على أرض مشتركة كالوقوف ضد الإلحاد والإباحية المظالم ، ضد الصهيونية . وضد التعنت والتجبر الإسرائيلي هذا لا مانع منه [٤٨] .

ففي إطار هذه القواسم المشتركة ، ومادام الآخر مستعد للحوار ، والتفاهم ، ويقبل التخاطب ، ويؤثر التحاور على التناحر والتحارب ،وفي هذه الأطر التي تعد منطلقات أساسية لعملية الحوار ﴿ **وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون** ﴾ " فلا حاجة إلى النزاع والشقاق ، والجدل والنقاش ، وكلهم يؤمنون بإله واحد والمسلمون يؤمنون بما أنزل إليهم وما أنزل من قبلهم ، وهو في صميمه واحد ، والمنهج الإلهي متصل الحلقات "[٤٩].

وفي قوله تعالى : ﴿ **هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ [آل عمران:٦٦]. ما يدل على وجوب المحاجة في الدين وإقامة الحجة على المبطلين ، كما أحتج الله على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في أمر المسيح عليه السلام وأبطل بها شبهتهم وشغبهم [٥٠] كما أن الآية أوضح دليل على صحة الاحتجاج للحق ، لأنه لو كان الحجاج كله محظورا ، لما فرق بين المحاجة بعلم وبغير علم "[٥١].

وقد وصل الحال برسول الله ﷺأن يباهل نصارى نجران في قصة عيسى عليه السلام ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ **[آل عمران/٥٩]**. ويؤخذ من هذه القصة " جواز مجادلة أهل الكتاب ، أو مناظرتهم ، بل استحباب ذلك . بل وجوبه إذا ظهرت المصلحة في إسلام من يرجى إسلامه منهم ، وإقامة الحجة عليهم ، ولا يهرب عن مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة ، فليول ذلك إلى أهله وليخل بين المطي وحاديها ، والقوس وباريها " [٥٢] .

وعليه نلحظ أن من الفقهاء من اعتبر مجادلة أهل الكتاب تدور بين الجواز والاستحباب والوجوب ، تبعا للأحوال [٥٣] بينما يرى بعضهم أن الحوار مع الآخر لإلحاق الرحمة بالعالمين يتعدى الوجوب إلى

درجة **الفريضة الشرعية الكفائية** التي يأثم العالم الإسلامي بتركها ، ولا يسقط عنه الإثم إلا بقيام فريق بهذه المهمة [٥٤] والباحث يرجح أن حكم القيام بالحوار يكون بحسب الحال ، فمن الأحوال ما تكون المجادلة معها جائزة ، ومنها ما تكون معها مستحبة ، ومنها ما تكون واجبة ، ومنها ما تكون فرض كفاية ، وذلك حين يكون الحوار لإلحاق الرحمة بالعالمين في إبلاغهم الرسالة وإقامة الحجة عليهم .

وبذلك يتبين أن الحوار تكليف شرعي يقع تحت مدلول قوله تعالى :﴿ **ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ (النحل : ١٢٥)...وإنما اشترط أن يكون بالتي هي أحسن حتى لا يكون منفرا ، وحتى يحقق الإقتناع عن اختيار، ولا يشكل حاجزا نفسيا يحول بين الآخر والإسلام خاصة أن الآخر هو محل الدعوة إلى دين الله ، ابتداءً وأن الإسلام لا يخص جنسا ولا لونا ، ولا قوماً [٥٥] .

والمسلم هو الأحق أن يكون البادئ بالدعوة للحوار ، وأن يكون الأكثر حرصا عليه من الآخر..ولعلي أرى في قوله تعالى :﴿ **قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾(آل عمران:٦٤) **تكليفا شرعيا** لا يخص عصرا بعينه ولا حادثة بعينها، ولا يجوز أن يعتبر سبب النزول قيدا لخلود النص، وتجريده عن حدود الزمان والمكان ..فمقتضى خلود النص يعني : أن التكليف جار وقائم في كل زمان ومكان .. والدعوة إلى الحوار واللقاء بالآخر ، ومحاججته بالتي هي أحسن ، وظيفة المسلم لإلحاق الرحمة بالناس ..وما يمتلك المسلم من قيم سماوية معصومة منزلة من رب العالمين ، وتجربة تاريخية فذة ، وشخصية حضارية وثقافية ، تجعله في موقع مكين ، يدفعه إلى الإيجابية ، وطلب الحوار ، ويجعل مكاسبه من الحوار مقدرة ابتداء [٥٦]

**. حوار المحارب :**

والسؤال هنا .. هل يحاور المحارب من أهل الكتاب بالتي هي أحسن؟ وما المقصود بالاستثناء في قوله:﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا..**﴾.؟

فقد فهم المفسرون من الآية استثناء "من كان ظالما محاربالمسلمين فيجادل بالغلظة والشدة. [٥٧] ذلك أن " المشرك لما جاء بالمنكر الفضيع كان أبلغ أن يجادل بالأخشن ، ويبالغ في توهين شبهه وتهجين مذهبه .. فالذين ظلموا بإثبات الولد لله والقول بثالث ثلاثة ، فإنهم يجادلون بالأخشن من تهجين

مقالتهم وتبيين جهالتهم ) [٥٨]. ذلك لأنهم "أفرطوا في الاعتداء والفساد فوجبت في حقهم الغلظة باللسان والسنان" [٥٩] .

فالاستثناء في عدم المجادلة بالتي هي أحسن واقع في حق الذين ظلموا . المخالفين . ليجادلوا بالتي هي أغلظ، وأخشن .. والحوار لا يكون مع المحاربين إلا أن يجنحوا إليه ، ويبدأوا بالدعوة إليه، ويكفوا عن الظلم ،..فإن كان لابد من الحوار معهم (أي المحاربين) فالإغلاظ لهم في القول واجب ، فإن لم تنفع غلظة اللسان كانت الغلظة عليهم بالسنان ، وذلك لرد العدوان ودفع الظلم وإلحاق الرحمة بالعالمين.

**المبحث الثالث : منهجية الحوارالقران**

المتتبع لآي القران يجد أن هناك أساليب وصيغ عديدة للحوار ، منها ما رد الله به على الخصوم من الحجج والبراهين وما ساقه من الأدلة لتثبيت العقائد وتقرير قواعد الملة ، وهو أمر ضروري لتبليغ رسالة الله ، وهذا النوع من الحوار في القران وإن كان فيه معنى الإيضاح و الإلزام فهو يتضمن أيضا معنى الإرشاد إلى طرق الاستدلال في إثبات الحجة والرد على الخصوم ومن ذلك :

١. **السبر والتقسيم :** وهو ما يعرف بحصر الأوصاف ، وإبطال أن يكون واحدا منها علة للحكم فتبطل دعوى الخصم عن طريق هذا الحصر المنطقي للموضوع . وفي ذلك يقول السيوطي : (إن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها تارة أخرى ، رد الله عليهم ذلك بطريق السبر والتقسيم)[٦٠]:"في قوله سبحانه : ﴿ **ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣) وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ ( الأنعام :١٤٣-١٤٤) .

٢. **الإستفهام التقريري** : ويقصد به تقرير المخاطب (الخصم) عن الأحوال التي يسلم بها ، وتسلم بها العقول ؛ حتى يعترف بما ينكره كالاستدلال بالخلق على وجود الخالق .

ومثل هذا قوله تعالى :﴿ **أم خلقوا من غير شيء؟ أم هم الخالقون؟ أم خلقوا السماوات والأرض؟ بل لا يوقنون. أم عندهم خزائن ربك؟ أم هم المسيطرون؟ أم لهم سلم يستمعون فيه . فليأت**

**مستمعهم بسلطان مبين** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون** ﴾ (الطور:٣٥-٤٣) والقرآن لا يستدل في حواره بمقدمات لمجرد تسليم الخصم كما هو الشأن عند المنطقيين ، بل يستدل بالمقدمات لتكون أدعى للانقياد للحق ، ومجانبة الباطل .حتى أن جبير بن مطعم لما سمع هذه الآيات يقرؤها رسول الله ﷺ في صلاة المغرب قال: **(كاد قلبي أن يطير )** [٦١] فللمحاور الانطلاق في الحوار ابتداءً من المسلمات التي لا يقدر الطرف الأخر على إنكارها ، ليحول بينه وبين "لا".

٣. **قياس الخلف** : وهو إثبات المطلوب بإثبات نقيضه أو خلافه ، لعدم اجتماع النقيضين ، مثل ذلك قوله تعالى :﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ (الأنبياء:٢٢) فامتناع الفساد دليل بطلان الوثنية،ومثال ذلك أيضا قوله تعالى:﴿ **وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** ﴾ الأنعام : ٩١. وأنت تلحظ هنا الأسلوب العجيب في الرد الهادئ المفحم ،فموسى بشر ، والكتاب الذي جاء به موضوع إقرار واعتزاز واستدلال عندهم .فإن لم يجيبوا ، فإن الجواب بين لمن حضر وشاهد وأنصف ، وللمحاور أن يزيده تأكيداً ، ثم ليذر مثل هذا الحوار الذي يتسم بروح المكابرة والعناد إذ لا فائدة فيه ﴿ **قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** ﴾ فليس في هذا الحوار فائدة ترتجى ، والاستمرار معهم ما داموا على هذه الحال إن هو إلا خوض ولعب ، وفي ذلك إشارة إلى وجوب ترك الحوار العقيم الذي لا فائدة منه .

٤. **الأقيسة الإضمارية:** وهي التي تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود ما يغني عن المحذوف ، قال الغزالي: "إن القرآن مبناه الحذف والإيجاز في الأقيسة ، واستدل بالآية الكريمة من سورة آل عمران التي ترد على النصارى الذين يزعمون أن عيسى ابن الله لأنه خلق من غير أب :﴿ **إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين** ﴾ (آل عمران: ٥٩-٦٠) ووجه القياس في الرد القرآني أنه لو كان الخلق من غير أب مسوغا لاتخاذ عيسى إلها ، فأولى أن يكون الخلق من غير أب ولا أم مسوغا لاتخاذ آدم إلها ولا أحد يقول ذلك.[٦٢] فالخروج إلى موضوع مماثل لموضوع الحوار لأخذ القياس الذي يعين المحاور في إقناع الطرف الآخريعد من طرق القرآن في الإقناع .

٥ . **قياس التمثيل** : وهو إلحاق أحد الشيئين بالآخر وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يريد إثباته ؛ على أمر بدهي لا ينكره الآخر كما لا تنكره سائر العقول ، فكثير من استدلالات البعث تقوم على هذا القياس ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ ( يس: ٧٧-٨١) وهذا من أفضل الأساليب التي يقدمها لنا القرآن الكريم ليستفيد منها المحاور في دعوته للآخر أو إقناعه ، وفي القرآن من ذلك كثير .

٦ . **مطالبة الخصم بتصحيح دعواه لإثبات كذب ادعائه:** وذلك كدعوى اليهود بأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة بعدد الأيام التي عبدوا فيها العجل أربعين يوما [٦٣] .والقرآن أورد دعواهم والرد عليها في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة:٨٠) فلعدم ثبوت عهد لهم عند الله، فقد انتفى هذا الافتراض وثبت كذب دعواهم ، وثبوت الافتراض الذي يدفع دعواهم بخلوها من الدليل والبرهان[٦٤].

وفي هذا الأسلوب يجد المحاور أن من أهم الصفات التي ينبغي عليه التحلي بها أن لا يكون سريع الانفعال ، أو ألا يوجد لديه سبيل للاستفزاز ، أمام الدعوات الساذجة التي لا يصدقها العقل، والتي تنبئ عن عدم تقدير الموقف الحواري ، بل عليه أن يكون متوطنا ثابت الجأش ، وأن يسعى إلى دفع الخصم لما من شأنه تأكيد دعواه الساذجة ، لتكون سذاجة دعواه أبلغ في الرد عليه، فلا يجد المحاور جهد في استجماع قواه الفكرية للرد على الآخر.

٧ . **الأسجال:** وهو أن تثبت على لسان خصمك ألفاظا في سياق خارج موضوع الحوار لتسجل به عليه ردا يتعلق بموضوع الحوار .ومثاله في القرآن قوله سبحانه:﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ (الأعراف:٤٤).

٨ . **الانتقال في الاستدلال:** أن ينتقل المستدل من دليل إلى آخر ومن مثال إلى الذي يليه لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الدليل أو المثال الأول . ومثال ذلك ما جاء على لسان إبراهيم عليه السلام ومحاجته لنمرود بن كنعان في قوله تعالى :﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ (البقرة:٢٥٨) .

٩ . **المناقضة:** وهي تعليق الأمر على المستحيل للدلالة على استحالة وقوعه، مثل قوله تعالى :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**﴾ (الأعراف:٤٠) .

١٠ . **مجاراة الخصم لتبيين عثرته:** وذلك بأن تسلم للخصم ببعض مقدماته «الصائبة» للاستعانة بها في إثبات ما تريد . وذلك مثل قوله تعالى في الحوار الذي دار بين الرسل ومكذبيهم :﴿ **قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ (إبراهيم:١٠-١١) فالرسل أجابوا بعدم إنكار كونهم بشرا، وذلك لا يتنافى أن يمن الله عليهم بالرسالة ، فالبشرية شرط في الرسالة . فكون الرسل بشرا لا يمنع امتنان الله عليهم برسالته إلى البشرية .

١١ـ **الاستدلال على الخصم بإظهار تشهيه وباطله** : ومثال ذلك ما جاء في قوله سبحانه:﴿ **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾(البقرة:٨٧) وقوله تعالى:﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾(البقرة:٨٥) إذ لو كان الشرع تابعا للشهوات لكان في الطباع ما يغني عنه ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ** ﴾ (المؤمنون: ٧١) وهذا أسلوب حكيم في غاية الحكمة التي تعتبر شرطا للحوار يستلزم إخراج ما في نفس الآخر وتركه يوضح مقاصده ، ليعرف باطلهم بلحن ألسنتهم وزلاتها وفلتاتها ، فيكون ذلك ألزم لإزهاقه بالحق الذي لا مرية فيه.

**١٢. الاستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر :** ومثل ذلك ما سلكه إبراهيم ﷺ في مناظرته لقومه ، وكيف استدل على وجود الله بأسرار إيجاده لخلقه ، وقد قص الله ذلك بقوله سبحانه وتعالى :﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ [الأنعام/٧٤-٧٩]**﴾ (الأنعام: ٧٥-٧٩) وقد سلك هذا المسلك " من باب استعمال النصفة أيضاً مع خصومه" [٦٥] وهي ألفاظ تقتضي محاجة ورداً على قوم [٦٦] على جهة التقرير لقومه والتوبيخ لهم وإقامة الحجة عليهم[٦٧] .

فللمحاور أن يبدأ بحوار مع ذاته ونفسه ، ليكون هذا الحوار ، أبلغ في الوصول إلى المقصود ، وأرجى للتأثير ، وأصوب في حسن الأسلوب ، وإلا فهل كان يجهل إبراهيمﷺ "ألوهية الله في هذا الكون الفسيح ، كما يبدو من تصويره في المشهد القرآني لأول وهلة ؟ أم أنه ﷺ اختار هذا الأسلوب ، ليتدرج في إقناع الطرف الآخر ، ومن حيث هو في موقعه الذهني الذي لا يتناسب الحوار معه سوى في البدء معه من حيث مستواه المتسم بالتخبط الاعتقادي ، أو التقليد للآباء في عبادة الظواهر الكونية دون النفاذ إلى ما وراء هذه الظواهر ، ومن الذي أوجدها ؟ .

ولذلك فمن الحكمة التي لا غنى للمحاورعنها، أن يتدرج في إقناع المدعو ، وأن يعرف المستوى الذهني، والواقع الاعتقادي لمن يحاوره ، لأن هذه المعرفة مهمة غاية الأهمية في تحديد نقطة البداية في الحوار .. طالما والداعية المحاور حريص على الفوز بكسب قلب الآخر ، فإن لم فبإقامة الحجة عليه ، كما أن على المحاور أن يستوهب الله عزوجل الحكمة في الخطاب ، والحجة والبرهان ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ**﴾ أعطيناه إياها وأرشدناه إليها[٦٨]

**خاتمـــة :**

. أن الحوار والجدال والتحاج والمناظرة ألفاظ قد تشترك في الدلالة على حديث متبادل بين نظيرين .. والحوار يشترك مع هذه الألفاظ ، لكنه ليس واحدا منها بل يشملها جميعا مع غلبة طابع الحب والرحمة ، واللين ومجانبة القسوة. ونشدان الحقيقة عليه ، فهوأسلوب في التخاطب والتفاعل، والتجاوب، والتقارب.

. يرجح أن حكم القيام بالحوار يكون بحسب الحال ، فمن الأحوال ما يكون الحوارمعها مباحا أو جائزا، ومنها ما يكون معها مستحبا ، ومنها ما يكون واجبا ، ومنها ما يكون فرض كفاية ، وذلك حين يكون الحوار لإلحاق الرحمة بالعالمين .

. أن منهجية الحوار في القرآن تعتمد على تنويع طرق وأساليب الحوار والتي منها السبروالتقسيم ، والاستفهام التقريري ، وقياس الخلف ، والأقيسة الإضمارية ، وقياس التمثيل ، ومطالبة الخصم بتصحيح دعواه لإثبات كذب ادعائه ، وكذا الأسجال ، والانتقال في الاستدلال ، والمناقضة ، ومجاراة الخصم لتبيين عثرته ، والاستدلال على الخصم بإظهار تشهيه وباطله ،والاستدلال بوجود الأثر على وجود المؤثر .

---

**الهوامـــــش**

[١] **مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري صحيح مسلم ، ك:الحج ، بَاب : ما يقول إذا رَكِبَ إلى سَفَرِ الْحَجِّ وَغَيْرِهِ ٢//٩٧٨ ( دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ) برقم (١٣٣٤)**

[١] **ابن منظور:جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري. لسان العرب ٢١٧/٤ وما بعدها(دار صادر .بيروت. ط الأولى ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م .**

[٢] **المصدر نفسه : ١١ /١٠٣ – مصدر سابق.**

[٤] **صحيح مسلم ك: الفتن وأشراط الساعة . باب ، ذكر الدجال وصفته ، ٢٢٥١/٤برقم( ٢٩٣٧) .**

[٥] **ابن منظور : لسان العرب ٢٢٨/٢.**

[٦] **المصدر نفسه :٢١٥/٥ .**

[١] **د.عبد العزيزالتويجري :الحوار من أجل التعايش ص١٥.(دار الشروق ط الأولى ١٤١٩_١٩٩٨م) بتصرف .**

[٢] **د.سميح أحمد محمود:رؤية الحوار السياسي من منظور إسلامي :منشور في مجلة منار الإسلام الإماراتية.ص٩٥. العدد شعبان ١٤٢٢هـ أكتوبر.نوفمبر ٢٠٠١م).**

[٩] **د.عبد الحليم حنفي.أسلوب المحاورة في القرآن الكريم.**

[١] **عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي : المقدمة (دار القلم – بيروت – ط الخامسة ١٩٨٤م) ص٤٥٧.**

[١١] حاجي خليفة :كشف الظنون ٥٧٩/١.

١ عبد الحليم : أسلوب المحاورة في القران الكريم ص١٢ . مرجع سابق .

[١٣] محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير١٤٨/٢_١٤٩.

[١٤] ابن كثير : إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء: تفسير القرآن العظيم ٣١٤/١. ( دار الفكر – بيروت –١٤٠١هـ)

[١٥] المصدر نفسه ١٥٣/٢

[١٦] ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ١٨٩/١.

[١٧] المصدر نفسه ١١١/٤.

[١٨] المستشار د.علي جريشة :أدب الحوار والمناظرة ، ص٥٩(دار الوفاء: المنصورة . ط الأولى .١٤١١هـ ١٩٨٩م.

[١٩] محمد بن جرير الطبري :جامع البيان ١٠٢/١٥. ( دار الفكر – بيروت / ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م . بدون رقم الطبع)

[٢٠] الطبري : جامع البيان ١٧ / ٤٦٩.

[٢١] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٤٦/٣.

٢٢ ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي : المحررالوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤ / ٢٥٠.( دار الكتب العلمية – لبنان ط الأولى – ١٩٩٣م) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد .

٢٣ الألوسي: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١٠ / ٤٨٥. ( دار إحياء التراث العربي – بيروت)

٢٤ المصدر نفسه: نفس الموضع.

٢٥ الطبري : جامع البيان ٣٢١/١٧.

٢٦ الآلوسي : روح المعاني ٢٥٤/١٤.

[٢٧] القرطبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن ٢٠٠/١٠(دار الشعب ـ القاهرة ـ دون رقم وتاريخ الطبع) بتصرف يسير.

[٢٨] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٣ /٤٣٢.

[٢٩] ابن جرير الطبري : جامع البيان في تأويل آي القرآن ٢٥٢/٨ بتصرف .

[٣٠] الأمام محمد علي الشوكاني : فتح القدير ٣/ ٢٠٣ ( عالم الكتب بدون رقم وتاريخ الطبع )

[٣١] المصدر نفسه : نفس الموضع .

[٣٢] ابن جرير الطبري : جامع البيان ٢٥٢/٨. بتصرف .

[٣٣] يوسف القرضاوي : فتاوى حول مستقبل الأمة الإسلامية بين التفاؤل والتشاؤم: منشور في مجلة منار الإسلامية الإماراتية ص٤٦ صفر ١٤١٩هـ يونيو ١٩٩٨م )

[٣٤] الشيخ إسماعيل حسن البروسوي : تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٣٢٧/٢ (دار العلم – دمشق . ط الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م)

[٣٥] المصدر نفسه ٣ /١٧٠ – ١٧١ .

[٣٦] جامع البيان ٨ ٢٥٢.

[٣٧] الشوكاني : فتح القدير ٢ /٢٠٣.

[٣٨] سيد قطب : في ظلال القران ٤ /٢٢٠٢.

[٣٩] الفخر الرازي فخر الدين محمد بن عمر التميمي : التفسيرالكبير٧٥/٢٥ ( دار الكتب العلمية – بيروت – ط الأولى – ٢٠٠٠م) .

[٤٠] يوسف القرضاوي : مستقبل الأمة الإسلامية بين التفاؤل والتشاؤم ص٤٨ مرجع سابق.

[٤١] المرجع نفسه : نفس الموضع .

[٤٢] ابن كثير : مختصر الصابوني ٣ /١٣٠ (دار القران الكريم : بيروت ط الثالثة ١٣٩٩هـ)

[٤٣] سيد قطب : في ظلال القران ٢٩٠٥/٥ ( دار الشروق:القاهرة ط العاشرة ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م)

[٤٤] المصدر نفسه : نفس الموضع.

[٤٥] القرضاوي : مستقبل الأمة الإسلامية ٤٨ مرجع سابق.

[٤٦] سيد قطب : في ظلال القران ٢٩٠٥/٥.

[٤٧] القرضاوي دار الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، ص١٦٩ (مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م)

[٤٨] القرضاوي : مستقبل الأمة الإسلامية بين التفاؤل والتشاؤم ص٤٨ مرجع سابق .

[٤٩] سيد قطب : في ظلال القران ٢٧٤٥/٥.

[٥٠] الجصاص : أبو بكرأحمد بن علي الرازي : أحكام القران ٢٩٨/٢. (دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٥هـ) تحقيق: محمد الصادق قمحاوي

[٥١] المصدر نفسه : نفس الموضع .

[٥٢] الإمام الحافظ ابى عبد الله ابن القيم الجوزي . زاد المعاد ٣ /٤٢. ( المكتبة العلمية : بيروت بدون رقم وتاريخ )

[٥٣] علي جريشه د. أدب الحوار والمناظرة ( دار المعرفة للطباعة والنشر ط الأولى ١٤١٠هـ ١٩٨٩ م) ص٢٨.

[٥٤] انظر عمر عبيد حسنه . تقديم كتاب الإسلام وصراع الحضارات . د أحمد القديدي ص ٢٦ سلسلة الأمة : مر جع سابق .

[٥٥] المصدر نفسه : ص٢٧ بتصرف.

[٥٦] المرجع نفسه : نفس الموضع .

[٥٧] الرازي : التفسير الكبير٧٥/٢٥.

[٥٨] المصدر نفسه: نفس الموضع . بتصرف كبير.

[٥٩] البروسوي : تنوير الأذهان ص ١٧٠-١٧١.

[٦٠] السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن : الإتقان في علوم القرآن ٣٥٩/٢.( دار الفكر - لبنان – ط الأولى. ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م ) تحقيق: سعيد المندوب

[٦١] انظر صحيح البخاري ك: التفسير، باب: تفسير سورة والطور برقم (٥٤٧٣) وسيرة ابن هشام

١ /١٥٤-١٥٥ . وانظر للمبارك فوري : الرحيق المختوم ص٧٧ .

[٦٢] انظر عبد السلام محمد بنهروال . المنهج القرآني في الجدل والإستدلال "بحث منشور في مجلة منار الإسلام ص١٢-١٣" ذو الحجة ١٤٢١هـ فبراير ٢٠٠١م .

[٦٣] الطبري : جامع البيان ٣٨١/١.

[٦٤] انظر عبد السلام محمد بنهروال .المنهج القرآني في الجدل والإستدلال . مرجع سابق ص١٢-١٣"

[٦٥] الزمخشري : الكشاف ٢/ ١٣٧.

[٦٦] ابن عطية :المحرر الوجيز ٢ / ٣١٣.

[٦٧] السابق ٣١٣/٢.

٦٨ الشوكاني : فتح القدير ١٣٥/٢.